15 em Année No. 751

Lundi — 24 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٣٦٧ — ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

أندريه جيـــد

صاحب جائزة نوبل هذا العام

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

منذ أمد قصير قرأت للكاتب الفرنسى — أندريه جيد — فصلا من كتابه « قوت الأرض » يفيض بنشوة الحياة ، ويشع بنور الأمل ، يوجه فيه الخطاب إلى ناشىء مجهول من ناشئة المستقبل يسميه « ناثنائيل » ويصوغ كلامه فى ذلك الفصل بصيغة هى أقرب إلى تسبيح المؤمن منها إلى إنشاء الأديب .

يقول لصاحبه ناثنائيل : « ما الحيوان إلا حقيبة من الفرح : كل كائن يحب أن يوجد ، وكل موجود يفرح بوجوده ... إنه لهو الفرح الذى يمتلىء بالجزالة فيُسمى الثمرة ، ويترنم بالغناء فيسمى العصفور . والحق الحق أن الطبيعة كلها تنبئنا أن الإنسان مخلوق للسعادة ، وأن النزوع إلى لذة الحس هو محيى نواة الشجرة ومالىء الخلية بالشهد ، ومفعم قلب الإنسان بالحنان .. » .

ويقول : « لن تكون الحياة أجمل مما يرتضيها الإنسان ، وليست الحكمة فى العقل بل فى الحب ... آه ! إننى إلى اليوم قد عشت بأكثر مما ينبغى من الحزم والروية . وعلى الإنسان أن يكون بلا شريعة لكى يفتح أذنيه للشريعة الجديدة . أين أنت أيها الخلاص ! أين أنت أيتها الحرية . إننى لذاهب إلى حيث تمتد بى نوازع الرغبة . وأنت يا من أحب تعالى معى ، فإننى لذاهب بعيداً ، وسآخذك معى لعلك تذهب إلى أبعد ... » .

***

ثم انقضت فترة بعد ذلك فسمعت أن « أندريه جيد » فى القاهرة ، وأنه يأتى إليها منزوياً مستخفياً ليخلو بنفسه ، أو يخلو بسآمته ويأسه ، فى جو بعيد عن ضجيج الحياة الاجتماعية وتكاليفها المملة ، وأنه لا يلقى أحداً ولا يحب أن يلقاه أحد . ولكنى صادفته فى الطريق فعرفته من صورته وقال لى صاحب المكتبة التى لقيته عندها : إنه جيد ! . فتجاهلت ما قال ، لأننى لم أشأ أن أزعج الرجل فى عزلته ، ولأننى لا أحس فى نفسى الشوق إلى لقاء أحد ممن أقرأ لهم فيعجبنى ما قرأت . عن عقيدة مستقرة عندى : أن الكاتب أحسن ما يكون فى كتبه ، وأن القارىء الذى تفوته حقيقة كاتب قرأه ، فلما يعرف من محضره فوق ما عرف من مضامين كلامه .

رأيت وجهاً كاسفاً حزيناً فى غير نقمة ، منزوياً فى غير جفوة مستسلماً لا به لا يبالى ما سيصير ، لأنه قد بالى كثيراً بما قد صار .

قلت فى نفسى لأول وهلة : أهذا هو جيد بشير الحياة ؟ أيكتب اليوم ما كتبه فى قوت الأرض قبل سبع وأربعين سنة ؟

وأيًا ما كان كلامه المنظور منه اليوم ، فإن الرجل لم ينقض نفسه ، ولم يخل فى خوانيم القرن التاسع عشر من نظر إلى ماعسى

أن يصير إليه فى أنصاف القرن العشرين .

إنه لم ينس رحمة الموت يوم أشاد بنعمة الحياة ، لأنه قال فى ذلك الكتاب إن الموت يعودنا لقاءه كلما اقتربنا منه « وإنه يغطى يديه بقفاز ناعم حين يأتى إلينا ، ولا يكظم أنفاسنا قبل أن يعودنا الكظيمة . والعالم الذى ينتزعنا منه يكون فى موعد النزع قد أضاع وضاحته ، ومأنسه ، وقد أضاع من أجل ذلك حقيقته ، وأصبح أمامنا ناصل اللون لا يبعث فراقه فينا ألماً ولا ندامة » .

لقد عملت الخمس والسبعون عملها فى بشير الحياة ، وهو الآن يعيش فى العالم الناصل ، الذى ننظر إليه من بعيد ، وهو فى الثامنة والعشرين .

ولكن السن رحدها فيما نعتقد لم تفعل كل هذه الأفاعيل .

فقبل أندريه جيد خليق أن يصطدم بالميئسات وهو فى ريعان الشباب ، لأنه يدين « بالعيشة الاعتباطية » أو العيشة بغير داع ولا مسوغ لعمل من الأعمال « qratuitous act » كما بشر بها فى كتب صباه ، ولأنه يدين مع ذلك بالصراحة التى لا تعرف الحدود ، ولا تطيق ثقلة الرقابة الاجتماعية فى شأن من شؤون الفكر ، أو الفن ، أو الأخلاق . فلا جرم تسلمه « العيشة الاعتباطية » والصراحة الجامحة ، إلى الغم والخيبة ، قبل نصول العالم فى عينيه من ألوانه الزاهيات .

أى صراحة هذه التى رزقها هذا الرجل الوديع العجيب ؟ إنها صراحة لا تحجم من السخط والحرمان ، ولا تحجم مما هو أرهب للنفس من كل سخط وحرمان ، وهما الخزى والسخرية .

وأعجب ما فيها أنها صراحة لا تنشد غرضاً من الأغراض ، ولا تتجه إلى هدف من الأهداف ، غير التبرم بالكتمان ، والأنفة من تسليمه لسلطان لا يؤمن به ولا يرى ما يراه .

ذهب إلى مستعمرة « الكونغو » ، وعاد منها فى سنة ١٩٢٨ فكانت حملته على الاستعمار الأوربى ، وفى مقدمته الاستعمار الفرنسى — أشد مما يكتبه زنوج « الكونغو » لو دافعوا عن أنفسهم فى وجوه سادتهم البيض .

وقد كان يحسب أن السادة البيض رسل حضارة إنسانية إلى القارة السوداء . فخاب حسبانه وعاد وهو يائس من هذه الرسالة الزعومة ، ومن حاجة العالم الإنسانى إليها ، وشنها غارة شعواء لم تصمد لها الدول المستعمرة ، ولم يسعها أن تدفعها بالتكذيب والداورة ، وأسفرت آخر الأمر عن « لجنة التحقيق » الشهورة التى أوشكت أن تؤيد كل ما قال .

وقيل يومئذ أن « جيد » قد انقلب إلى أحزاب الشمال ، وقد انقلب فعلا إلى أحزاب الشمال ، وكفر بمذاهب المجتمع القائم جميعاً وهو يظن أن الأمل كله منعقد بنجاح الاشتراكية ، بل الشيوعية ، كما يبشر بها الماركسيون .

ولكن الشيوعية تأسست بعد ذلك فى البلاد الروسية ، ودعى « جيد » مع من دعتهم حكومة السوفييت إلى شهود آثارها فى تلك البلاد ، وعدتهم لا تقل عن مائة وخمسين من الأنصار والمعجبين . فخاب أمله ، وتهدم يقينه ، ولم يكتم ما خامره من الأسف والحسرة على ذلك الأمل الخائب واليقين المهدوم ، وكتب رسالته الأولى عن هذه الرحلة ثم قفاها برسالة أخرى ، يرد بها على ناقديه وتالبيه ، ويؤيد ما قال فى هذه المرة بالرقم والدليل .

على أن هذه الصراحة الجريئة كلها لا تبلغ من العجب مبلغ صراحته فى المسألة الجنسية كما يعرض لها فى بعض تمثيلياته وبعض أقاصيصه واعترافاته .

فهو يعلن فى غير مواربة أن « الشذوذ الجنسى » طبيعة فى بعض الناس كطبيعة الذكورة والأنوثة ، وأن الحكم عليه حكم على بنية خاصة ومزاج خاص ، ولا يصح أن نجعله حكما على رذيلة أو مثابة من مثائب الأخلاق .

وتصدى له « هنرى ماسى » من الحزب الكاثوليكى الوطنى ، فاغتنم هذه الفرصة لمهاجمة علم من أعلام البروتستانت الفرنسيين ، لأن « جيد » من أسرة بروتستانتية عريقة ، وأنحى عليه بالتشهير والتجريس ، ورماه بالحطة وإفساد الآداب . فكان جواب « جيد » عليه كتاب كوربدون Corydon الذى يقول فيه ما لم يقله من قبل ، فى شرح « الشذوذ الجنسى » وفى أضراره من وجهة الصحة ووجهة الأخلاق ، ووجهة المصالح الاجتماعية ، فبلغ فى صراحته هذه — كما أسلفنا — مبلغاً لا تقرن به صراحته فى الهجوم على المذاهب أو الهجوم على الحكومات .

وليست صراحة الرجل فى الرأى مسألة فكر وحسب ، أو

مسألة كلام وكفى . لأن هذه الحرية تكلفه كثيراً من المال ، وتجشمه كثيراً من العناء ، وهو غنى بما ورثه من أمه وبعض أقربائه ، فلا يبخل بمال ينفقه على اللاجئين إلى باريس من المضطهدين فى بلادهم ، سواء كانوا من الألمان أو النمسويين أو الأسبان أو البلجيك ، ويمنيهم بكل ما استطاع من المعونة فوق معونة المال .

***

أما قيمة « جيد » الأدبية ، فهى فى بعض نواحيها مما تتفق عليه آراء النقاد ، على صعوبة الاتفاق فى هذه الآراء .

فناقدوه والمعجبون به متفقون على جمال أسلوبه ، يقول بعض ناقديه قبل المعجبين به : أن مجرد المطالعة فى جمل من عباراته ورسائله متعة فنية ، تكفى وحدها للعودة إليه .

وليست لجيد براعة كبراعة « أناتول فرانس » فى لباقة التعبير وسهولة الفكاهة . ولكنه يوازنه بما هو أفضل منه فيه ، وهو جد الرأى وحماسة الروح .

وليست له قدرة بروست فى الوصف والتحليل ، ولكنه يعوض هذا الضعف بقدرته فى الحوار والحركة ، فيصل بك من طريقهما إلى القصد الذى يتوخاه الكاتب بالوصف والتحليل .

وقد علق بالرمزية واللهجة الغنائية Lyric فى أوائل حياته ، ثم جنح إلى البساطة والوضوح فاتخذ له أسلوباً يلائمه ، وينتقل بفحواه إلى اللغة التى يترجم إليها ، وتقرأه مترجماً فلا تفوتك معالمه الشخصية من وراء الألفاظ والعبارات .

وقد ورث سليقة المعرفة من بيئته التى نشأ فيها ، لأن أباه جان بول جيد هو علامة الاقتصاد المشهور ، وعمه شارل كان أستاذاً من أساتذة « كوليج دى فرانس » المتازين ، وأسرته كلها من بيئة المثقفين والمطلعين ، ولكنه مع هذا يحسب من ذوى السلائق والأذواق ، ولا يحسب من ذوى الأذهان والأفكار ، ونفوره من المدرسة الذهنية Intellectualism عرض من أعراض هذا الاستعداد .

ولا تقل ملكة النقد عند هذا الأديب عن ملكة الإنشاء والابتكار . فإن آراءه فى دستيفسكى الروسى ، وفى وتمان الأمريكى ، وفى مونتانى الفرنسى ، وفى الآداب الإنجليزية والألمانية على العموم ، هى مثل فى النقد العائب والإنصاف المنزه عن الغاية ، والتصرف فى الجمع بين نماذج الفن فى شتى الأمم ، وشتى اللغات ، وشتى العصور .

وقد مارس الكتابة مستتراً ، ومارسها مصرحاً باسمه ، ولكنه ظل عازفاً عن المظاهر والألقاب من شبابه إلى هرمه ، وعرضت عليه العضوية فى « الأكاديمية الفرنسية » فلم يخف إلى قبولها ، وهى أشرف ما يتطلع إليه الكاتب الفرنسى من وراء الصيت والتقدير

وها هى لجنة « نوبل » تخصه هذا العام بجائزتها الأدبية وهو يجاوز الثامنة والسبعين ، فلا تقع الغرابة فى هذا الاختيار إلا من ناحية واحدة : وهى ناحية الإغضاء عن رأيه فى المسائل الجنسية ، ولعلها قدرت صراحته فى الارتداد على مذاهب الهدم ، وقدرت عطفه على الضعفاء والمخذولين ، وقدرت ملكاته الفنية ، وأقامت الميزان بين دواعى التنويه ودواعى الإهمال ، فرجحت كفة الحسنات عندها على كفة السيئات .

عباس محمود العقاد

ظهر حديثا

الجزء الأول — من المجلد الأول

من كتاب

وحى الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

الثمن ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد